بيوت المتقين

السنة الثامنة

مجلة شهرية تهتم بنشر الثقافة الدينية للمؤمنين

تصدر عن: شعبة التبليغ الديني في قسم الشؤون الدينية - العدد (٩٣) لشهر صفر لسنة ١٤٤٣هـ

- من كرامات الإمام الحسين عليه السلام
- الربا في القرآن الكريم (الحلقة الثانية)
- المنتظر الحقيقي

جامع الأمير فخر الدين
في لبنان

السلام عليك
يا أبا محمد يا حسن بن علي
الشرقاوي
٧ / صفر/ ٥٠ هـ
شهادة الإمام الحسن بن علي عليه السلام

اقــرأ في هــذا العــــدد

❖ وقفة فقهية

توجيهات بخصوص زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام.... ص٦-٧

❖ مساجدنـــا

جامع الأمير فخر الدِّين.....ص١٢-١٣

❖ الآداب الإسلامية

آداب الدنيا وكيفية التعامل معها / ح١..... ص١٤-١٥

❖ عقائدنـــا

القرب الإلهي..... ص١٨-١٩

العتبة العلوية المقدسة | قسم الشؤون الدينية | شعبة التبليغ

رئيس التحرير
الشيخ حازم الترابي

مدير التحرير
الشيخ وصفي الحلفي

هيئة التحرير
الشيخ حازم الترابي
الشيخ حسين الهاشمي
الشيخ وصفي الحلفي

التدقيق
شعبة التبليغ الديني

التصميم والإخراج الفني
حسن الموسوي

من كرامات الإمام الحسين عليه السلام ولزائريه

كرامة الله تبارك وتعالى لزوار الحسين بن علي عليهما السلام:

عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (كأني والله بالملائكة قد ازدحموا المؤمنين على قبر الحسين عليه السلام، قال: قلت: فيترأون له؟ قال: هيهات هيهات قد لزموا والله المؤمنين حتى أنهم ليمسحون وجوههم بأيديهم، قال: وينزل الله على زوار الحسين عليه السلام غدوة وعشية من طعام الجنة وخدامهم الملائكة، لا يسأل الله عبد حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا أعطاها إياه.

قال: قلت هذه والله الكرامة، قال لي: يا مفضل أزيدك، قلت: نعم سيدي، قال: (كأني بسرير من نور قد وضع وقد ضربت عليه قبة من ياقوتة حمراء مكللة بالجواهر، وكأني بالحسين عليه السلام جالس على ذلك السرير وحوله تسعون الف قبة خضراء، وكأني بالمؤمنين يزورونه ويسلمون عليه، فيقول الله عز وجل لهم: أوليائي سلوني فطال ما أوذيتم وذللتم واضطهدتم، فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا

والآخرة الا قضيتها لكم، فيكون أكلهم وشربهم في الجنة، فهذه والله الكرامة التي لا انقضاء لها ولا يدرك منتهاها) (كامل الزيارات، الشيخ الصدوق: ص٢٥٨).

إن زائري الحسين عليه السلام يكونون في جوار رسول الله وعلي وفاطمة عليهم السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (ان الله تبارك وتعالى جعل ملائكة موكلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا هم الرجل بزيارته واغتسل نادى محمد صلى الله عليه وآله يا وفد الله أبشروا بمرافقتي في الجنة...) (كامل الزيارات، الشيخ الصدوق: ص٢٦١).

فضل من زار الحسين حبا لرسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة عليهم السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين زوار الحسين بن علي، فيقوم عنق من الناس لا يحصيهم الا الله تعالى، فيقول لهم: ما أردتم بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيقولون: يا رب أتيناه حبا لرسول الله وحبا لعلي وفاطمة ورحمة له مما ارتكب منه، فيقال لهم: هذا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فالحقوا بهم، فأنتم معهم في درجتهم الحقوا بلواء رسول الله فينطلقون إلى لواء رسول الله، فيكونون في ظله واللواء في يد علي عليه السلام حتى يدخلون الجنة جميعا، فيكونون امام اللواء، وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه) (كامل الزيارات، الشيخ الصدوق: ص٢٦٨).

من زار الحسين عليه السلام تشوقا إليه:

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقا وتقطعت أنفسهم عليه حسرات)، قلت: وما فيه، قال: (من أتاه تشوقاً كتب الله له الف حجة متقبلة والف عمرة مبرورة واجر الف شهيد من شهداء بدر واجر الف صائم، وثواب الف صدقة مقبولة وثواب الف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظا سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه.

فان مات سنته حضرته ملائكة الرحمة يحضرون غسله واكفانه والاستغفار له، ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر ومن منكر ونكير ان يروعانه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه، ويعطى له يوم القيامة نورا يضئ لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد: هذا من زوار الحسين شوقا إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذ انه كان من زوار الحسين عليه السلام) (كامل الزيارات، الشيخ الصدوق: ص٢٧٠).

توجيهات بخصوص زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عظّم الله لكم الأجر...

ونحن نتوجّه الى كربلاء المقدّسة بمناسبة أربعينية الإمام سيد الشهداء عليه السلام، نحتاج إلى توجيهات أبوية بهذه المناسبة العظيمة لتكون الفائدة أكبر والجزاء أعظم وللتنبيه عمّا نغفل عنه أو لا نعلم أجره. نأمل أن يكون التوجيه لكافة شرائح المجتمع. أدام الله نعمة وجودكم المبارك إنّه سميع قريب ونسألكم الدعاء.

جمعٌ من المؤمنين

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين...

وبعد فإنه ينبغي أن يلتفت المؤمنون الذين وفقهم الله لهذه الزيارة الشريفة انّ الله سبحانه وتعالى جعل من عباده أنبياء وأوصياء ليكونوا أسوة وقدوة للناس وحجّة عليهم فيهتدوا بتعاليمهم ويقتدوا بأفعالهم. وقد رغّب الله تعالى إلى زيارة مشاهدهم تخليداً لذكرهم وإعلاء لشانهم وليكون ذلك تذكرة للناس بالله تعالى وتعاليمه وأحكامه، حيث إنهم كانوا المثل الأعلى في طاعته سبحانه والجهاد في سبيله والتضحية لأجل دينه القويم.

وعليه فإنّ من مقتضيات هذه الزيارة: - مضافاً إلى إستذكار تضحيات الإمام الحسين عليه السلام في سبيل الله تعالى- هو الإهتمام بمراعاة تعاليم الدين الحنيف من الصلاة والحجاب والإصلاح والعفو والحلم والأدب وحرمات الطريق وسائر المعاني الفاضلة لتكون هذه الزيارة بفضل الله تعالى خطوة في سبيل تربية النفس على هذه المعاني تستمر آثارها حتى الزيارات اللاحقة وما بعدها فيكون الحضور فيها بمثابة الحضور في مجالس التعليم والتربية على الإمام عليه السلام.

إننا وإن لم ندرك محضر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لنتعلم منهم ونتربى على أيديهم إلاّ أنّ الله تعالى حفظ لنا تعاليمهم ومواقفهم ورغّبنا إلى زيارة مشاهدهم ليكونوا أمثالاً شاخصة لنا واختبر بذلك مدى صدقنا فيما نرجوه من الحضور معهم والإستجابة لتعاليمهم ومواعظهم، كما اختبر الذين عاشوا معهم وحضروا عندهم،فلنحذر عن أن يكون رجاؤنا أمنية غير صادقة

في حقيقتها، ولنعلم أننا إذا كنّا كما أرادوه (صلوات الله عليهم) يرجى أن نحشر مع الذين شهدوا معهم، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في حرب الجمل: أنه «قد حضرنا قوم لم يزالوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء». فمن صدق في رجائه منا لم يصعب عليه العمل بتعاليمهم والإقتداء بهم، فتزكّى بتزكيتهم وتأدب بآدابهم.

فالله الله في الصلاة فإنها - كما جاء في الحديث الشريف - عمود الدين ومعراج المؤمنين إن قُبِلت قُبِلَ ما سواها وإن رُدّت رُدَّ ما سواها، وينبغي الإلتزام بها في أول وقتها فإنّ أحبّ عباد الله تعالى إليه أسرعُهم استجابة للنداء إليها، ولا ينبغي أن يتشاغل المؤمن عنها في اول وقتها بطاعةٍ أخرى فإنها أفضل الطاعات، وقد ورد عنهم عليهم السلام: «لا تنال شفاعتنا مستخفّاً بالصلاة». وقد جاء عن الإمام الحسين عليه السلام شدّة عنايته بالصلاة في يوم عاشوراء حتى إنّه قال لمن ذكرها في أول وقتها: «ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين الذاكرين» فصلّى في ساحة القتال مع شدّة الرمي.

الله الله في الإخلاص فإنّ قيمة عمل الإنسان وبركته بمقدار إخلاصه لله تعالى، فإنّ الله لا يتقبّل الاّ ما خلص له وسلم عن طلب غيره. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في هجرة المسلمين إلى المدينة أنّ من هاجر إلى الله ورسوله فهجرته إليه ومن هاجر إلى دنيا يصيبها كانت هجرته إليها، وان الله ليضاعف في ثواب العمل بحسب درجة الإخلاص فيه حتّى يبلغ سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء. فعلى الزوار الإكثار من ذكر الله في مسيرتهم وتحرّي الإخلاص في كل خطوة وعمل، وليعلموا ان الله تعالى لم يمنَّ على عباده بنعمة مثل الإخلاص له في الإعتقاد والقول والعمل، وان العمل من غير إخلاص لينقضي بانقضاء هذه الحياة وأمّا العمل الخالص لله تعالى فيكون مخلّداً مباركاً في هذه الحياة وما بعدها.

الله الله في الستر والحجاب فإنّه من أهمّ ما اعتنى به أهل البيت عليهم السلام حتّى في أشدّ الظروف قساوة في يوم كربلاء فكانوا المثل الأعلى في ذلك، ولم يتأذّوا عليهم السلام بشيء من فعال أعدائهم بمثل ما تأذّوا به من هتك حُرَمهم بين الناس، فعلى الزوار جميعاً ولا سيّما المؤمنات مراعاة مقتضيات العفاف في تصرفاتهم وملابسهم ومظاهرهم والتجنب عن أي شيء يخدش ذلك من قبيل الألبسة الضيّقة والإختلاطات المذمومة والزينة المنهيّ عنها، بل ينبغي مراعاة أقصى المراتب الميسورة في كل ذلك تنزيهاً لهذه الشعيرة المقدّسة عن الشوائب غير اللائقة.

نسأل الله تعالى أن يزيد من رفعة مقام النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام في الدنيا والآخرة بما ضحّوا في سبيله وجاهدوا بغية هداية خلقه ويضاعف صلاته عليهم كما صلّى على المصطفين من قبلهم لا سيما ابراهيم وآل ابراهيم كما نسأله تعالى أن يبارك لزوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام زيارتهم ويتقبلها بأفضل ما يتقبل به عمل عباده الصالحين حتّى يكونوا في سيرهم وسيرتهم في زيارتهم هذه وما بقي من حياتهم مثلاً لغيرهم وأن يجزيهم عن أهل بيت نبيّهم عليهم السلام خيراً لولائهم لهم واقتدائهم بسيرتهم وتبليغ رسالتهم عسى أن يُدعَوا بهم عليهم السلام في يوم القيامة حيث يدعى كل أناس بإمامهم وأن يحشر الشهداء منهم في هذا السبيل مع الحسين عليه السلام وأصحابه بما بذلوه من نفوسهم وتحمّلوه من الظلم والاضطهاد لأجل ولائهم إنّه سميع مجيب.

الربا في القرآن الكريم

(الحلقة الثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ* يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(سورة البقرة: آية ٢٧٥-٢٧٧).

منطق المرابين:

وصل بنا الكلام إلى هذه الآية والتي تتكلم عن منطق المرابين حيث تقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾. هذه الآية تبين منطق المرابين فهم يقولون: ما الفرق بين التجارة والربا؟ ويقصدون أن كليهما يمثلان معاملة تبادل بتراضي الطرفين واختيارهما.

يقول القرآن جواباً على ذلك: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. ولم يزد في ذلك شرحاً وتفصيلاً، ربما لوضوح الاختلاف:

فأولاً: في صفقة البيع والشراء يكون كلا الطرفين متساويين بإزاء الربح والخسارة، فقد يربح كلاهما، وقد يخسر كلاهما، ومرة يربح هذا ويخسر ذاك، ومرة يخسر هذا ويربح ذاك، بينما في المعاملة الربوية لا يتحمل المرابي أية خسارة، فكل الخسائر المحتملة يتحمل ثقلها الطرف الآخر، ولذلك نرى المؤسسات الربوية تتوسع يوماً فيوماً، ويكبر رأسمالها بقدر اضمحلال وتلاشي الطبقات الضعيفة.

وثانياً: في التجارة والبيع والشراء يسير الطرفان في (الإنتاج والاستهلاك)، بينما المرابي لا يخطو أية خطوة إيجابية في هذا المجال.

وثالثاً: بشيوع الربا تجري رؤوس الأموال مجرى غير سليم وتتزعزع قواعد الاقتصاد الذي هو أساس المجتمع، بينما التجارة السليمة تجري فيها رؤوس الأموال في تداول سليم.

ورابعاً: الربا يتسبب في المخاصمات والمنازعات الطبقية، بينما التجارة السليمة لا تجر المجتمع إلى المشاحنات والصراع الطبقي.

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾. تقول الآية إن من بلغته نصيحة الله بتحريم الربا واتعظ فله الأرباح التي أخذها من قبل (أي: أن القانون ليس رجعيا) لأن القوانين الرجعية تولد الكثير من المشاكل والاضطرابات في حياة الناس، ولذلك فإن القوانين تنفذ عادة من تاريخ سنها.

وهذا لا يعني بالطبع أن للمرابين أن يتقاضوا أكثر من رؤوس أموالهم من المدينين بعد نزول الآية، بل المقصود إباحة ما جنوه من أرباح قبل نزول الآية.

ثم يقول: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾. أي: أن النظر إلى أعمال هؤلاء يوم القيامة يعود إلى الله، وإن كان ظاهر الآية يدل على أن مستقبل هؤلاء من حيث معاقبتهم أو العفو عنهم غير واضح، ولكن بالتوجه إلى الآية السابقة نفهم أن القصد هو العفو. ويظهر من هذا أن إثم الربا من الكبر بحيث إن حكم العفو عن الذين كانوا يتعاطونه قبل نزول الآية لا يذكر صراحة.

﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

أي: أن من يواصل تعاطي الربا على الرغم من كل تلك التحذيرات، فعليه أن ينتظر عذاباً أليماً في النار دائماً.

إن العذاب الخالد لا يكون نصيب من آمن بالله، لكن الآية تعد المصرين على الربا بالخلود في النار، ذلك لأنهم بإصرارهم هذا يحاربون قوانين الله، ويلجون في ارتكاب الإثم، وهذا دليل على عدم صحة إيمانهم، وبالتالي فهم يستحقون الخلود في النار.

كما يمكن القول إن خلود العذاب هنا كما في الآية ٩٣ من سورة النساء، يعني العذاب المديد الطويل الأمد لا الأبدي الدائم.

ثم أن الآية التالية تبين الفرق بين الربا والصدقة وتقول: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾.

ثم يضيف سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾. يعني الذين تركوا ما في الصدقات من منافع طيبة والتمسوا طريق الربا الذي يوصلهم إلى نار جهنم.

(المحق) النقصان التدريجي، و(الربا) هو النمو التدريجي، فالمرابي بما لديه من رأسمال وثروة يستحوذ على أتعاب الطبقة الكادحة، وقد يؤدي عمله هذا إلى القضاء عليهم، أو يبذر على الأقل بذور العداء والحقد في قلوبهم بحيث يصبحون بالتدريج متعطشين إلى شرب دماء المرابين ويهددون أموالهم وأرواحهم. فالقرآن يقول إن الله يسوق رؤوس الأموال الربوية إلى الفناء، وإن هذا الفناء التدريجي الذي يحيق بالفرد المرابي يحيق بالمجتمع المرابي أيضاً.

وبالمقابل فالأشخاص الذين يتقدمون إلى المجتمع بقلوب مليئة بالعواطف الإنسانية وينفقون من رؤوس أموالهم وثرواتهم يقضون بها حاجات المحتاجين من الناس يحظون بمحبة الناس وعواطفهم عموماً، وأموال هؤلاء فضلاً عن عدم تعرضها لأي خطر تنمو بالتعاون العام نمواً طبيعياً. وهذا ما يعنيه القرآن بقوله: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾.

وهذا الحكم يجري في الفرد كما يجري في المجتمع، فالمجتمع الذي يعني بالحاجات العامة تتحرك فيه الطاقات الفكرية والجسمية للطبقة الكادحة التي تؤلف أكثرية المجتمع وتبدأ العمل، وعلى أثر ذلك يظهر إلى حيز الوجود ذلك النظام الاقتصادي القائم على التكافل وتبادل المنافع العامة.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾. (الكفار) من الكفور، بوزن فجور، وهو المغرق في نكران الجميل والكفر بالنعمة، و(الأثيم) هو الموغل في ارتكاب الآثام.

هذه الفقرة من الآية تشير إلى أن المرابين بتركهم الإنفاق والإقراض والبذل في سبيل رفع الحاجات العامة يكفرون بما أغدق الله عليهم من النعم، بل أكثر من ذلك يسخرون هذه النعم على طريق الإثم والظلم والفساد، ومن الطبيعي أن الله لا يحب أمثال هؤلاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. مقابل المرابين الآثمين الكافرين بأنعم الله هناك أناس من المؤمنين تركوا حب الذات، وأحيوا عواطفهم الفطرية، وارتبطوا بالله بإقامة الصلاة، وأسرعوا لمعونة المحتاجين بدفع الزكاة، وبذلك يحولون دون تراكم الثروة وظهور الاختلاف الطبقي المؤدي إلى الكثير من الجرائم، وهؤلاء ثوابهم محفوظ عند الله ويرون نتائج أعمالهم في الدنيا والآخرة.

ثم إن هؤلاء لا يعرفون القلق والحزن، ولا يهددهم الخطر الذي يتوجه إلى المرابين من قبل ضحاياهم في المجتمع.

وأخيرا فإنهم يعيشون في اطمئنان تام ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

١- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «لَا يَمُوتُ الإِمَامُ حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ يَكُونُ مِنْ بَعْدِه فَيُوصِيَ إِلَيْه».

٢- عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهْلِها وإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. قَالَ: «إِيَّانَا عَنَى أَنْ يُؤَدِّيَ الأَوَّلُ إِلَى الإِمَامِ الَّذِي بَعْدَه الْكُتُبَ والْعِلْمَ والسِّلَاحَ: ﴿وإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً -أَمَرَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِطَاعَتِنَا- فَإِنْ خِفْتُمْ تَنَازُعاً فِي أَمْرٍ فَرُدُّوه إِلَى اللَّهِ وإِلَى الرَّسُولِ وإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ كَذَا نَزَلَتْ وكَيْفَ يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بِطَاعَةِ وُلَاةِ الأَمْرِ ويُرَخِّصُ فِي مُنَازَعَتِهِمْ إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِلْمَأْمُورِينَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾).

الشرح:

قوله عليه السلام: «الْكُتُبَ والْعِلْمَ والسِّلَاحَ». أُريد بالكتب: الكتاب الذي جمعه علي بن أبي طالب عليه السلام والجفر الأبيض الذي فيه زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم ومصحف فاطمة عليها السلام الذي كتبه علي عليه السلام عند نزول جبرئيل إليها وإخباره بما يكون إلى يوم القيامة، وفيه جميع ما يحتاج إليه الناس، والجامعة وهي صحيفة كتبها علي عليه السلام بخطّه من إملاء الرسول صلى الله عليه وآله.

والجفر: وهو مشتمل على علم النبيين والوصيّين وعلم العلماء الذين مضوا. والصحيفة التي جاء بها جبرئيل الأمين في الوصية من عند ربّ العالمين، وبالعلم: العلم الذي اختص به الإمام وهو العلم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وبالسلاح سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله مثل المغفر والدرع والراية والقميص والسيف والخاتم وغيرها.

قوله عليه السلام قول الله تعالى: ﴿وإذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. الحكم بالعدل هو الإنصاف والتسوية بين الغني والفقير والكبير والصغير والقريب والبعيد والشريف والوضيع وهو يتوقف على الكمال في القوّة العقلية. واتّصافها بغاية العلم ونهاية المعرفة وتميّزها بين الحق والباطل، وعلى الاستقامة في القوة الغضبية، وعدم ميلها إلى جهة الإفراط والتفريط لأن جهة التفريط توجب العجز عن إقامة الحدود وإجراء الأحكام، وجهة الإفراط توجب ارتكاب الظلم والجور. وتلك الاستقامة هي الشجاعة المعدودة من الأخلاق الحسنة التي كانت لجميع الأنبياء والأوصياء

وعلى اعتدال القوة الشهوية وتوسطها بين الإفراط والتفريط؛ لأن طرف التفريط يوجب العجز عن جلب ما لا بدّ منه، وطرف الإفراط يوجب جلب ما يضرّ ويجب تركه من المشتهيات النفسانية.

فإذا حصلت هذه الأُمور حصلت من مجموعها للنفس ملكة العدل التي بها يجوز الحكم بين الناس بل يجب، وإذا فقد كلّها أو بعضها كان الحاكم من أهل الجور والطغيان وأهل الظلم والعدوان نعوذ بالله من ذلك.

وفي قوله عليه السلام: «الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ». إشارة إلى أنه مكتوب عندهم في كتاب علي عليه السلام أو إلى اتّصافهم بهذه الصفة وعدم حصولها لهم بالتكلّف.

قوله عليه السلام: «إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً». أي: أراد بأولي الأمر إيّانا خاصة لا إيّانا وغيرنا ولا غيرنا خاصة، وفيه ردّ على من قال: أراد بهم سلاطين الجور، وبطلان هذا القول أظهر من أن يحتاج إلى البيان، وأما من قال: أراد بهم أمراء المسلمين وخلفاءهم وقضاتهم وعلماء الشرع، فإن أراد بهم الأئمّة الطاهرين من آل الرسول فهو حق وإلاّ فهو في ظهور البطلان مثل ما مرّ.

قوله عليه السلام: «أَمَرَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِطَاعَتِنَا». يفهم عموم المؤمنين وشمول الأوقات من عدم التقييد ببعض ووقت ولصحة الاستثناء وهو معيار العموم ولأن طاعتهم كطاعة الله وطاعة الرسول فكما أن طاعتها واجبة إلى يوم القيامة كذلك طاعتهم.

قوله عليه السلام: «فَإِنْ خِفْتُمْ تَنَازُعاً فِي أَمْرٍ». في القرآن هكذا «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ»(سورة النساء: آية٥٩). فالمذكور إمّا تفسير له وبيان لحاصل معناه أو إشعار بوقوع التحريف فيه أيضاً كما يشعر به ظاهر قوله: «كَذَا نَزَلَتْ»، وإنّما قلنا ظاهر قوله لاحتمال أن يكون كذا إشارة إلى قوله: «وإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ».

قوله عليه السلام: «وكَيْفَ يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بِطَاعَةِ وُلَاةِ الأَمْرِ ويُرَخِّصُ فِي مُنَازَعَتِهِمْ». أي: منازعة ولاة الأمر بعضهم بعضاً في أمر من أُمور الدين وغيرها أو في منازعة الناس إيّاهم، وفيه ردّ على من قال: الخطاب في تنازعتم لأُولي الأمر على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وعلى من قال: الخطاب لهم وللمؤمنين على سبيل التغليب يعني إن تنازعتم يا ولاة الأمر في شيء أو إن تنازعتم أيّها المؤمنون وولاة الأمر في شيء فردّوه إلى الله وإلى الرسول أي فارجعوا فيه إلى كتاب الله وإلى الرسول بالسؤال عنه في حياته والأخذ من سنّته بعد موته، ووجّه الردّ أمران:

أحدهما: أن قوله تعالى: ﴿وإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ كما أشار إليه عليه السلام بقوله: «كَذَا نَزَلَتْ». يدلّ على فساد هذين القولين وهو ظاهر.

وثانيهما: أن العقل يحكم بالضرورة بأنه لا معنى لأن يأمر الله تعالى المؤمنين بطاعة ولاة الأمر ثم يرخّص ولاة الأمر في منازعة بعضهم بعضاً في أُمور الدين، أو يرخّص المؤمنين في منازعة ولاة الأمر فيها، وهذا من أجلى الضروريات لا ينكره إلاّ مكابر أو مباهت.

قوله عليه السلام: «إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِلْمَأْمُورِينَ» أي: للمأمورين بطاعة أُولي الأمر وفيه إشارة إلى أن الخطاب في قوله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾. للمؤمنين المأمورين بطاعتهم، وأمرهم بالرجوع إلى ولاة الأمر عند التنازع وقولهم هو الحجة.

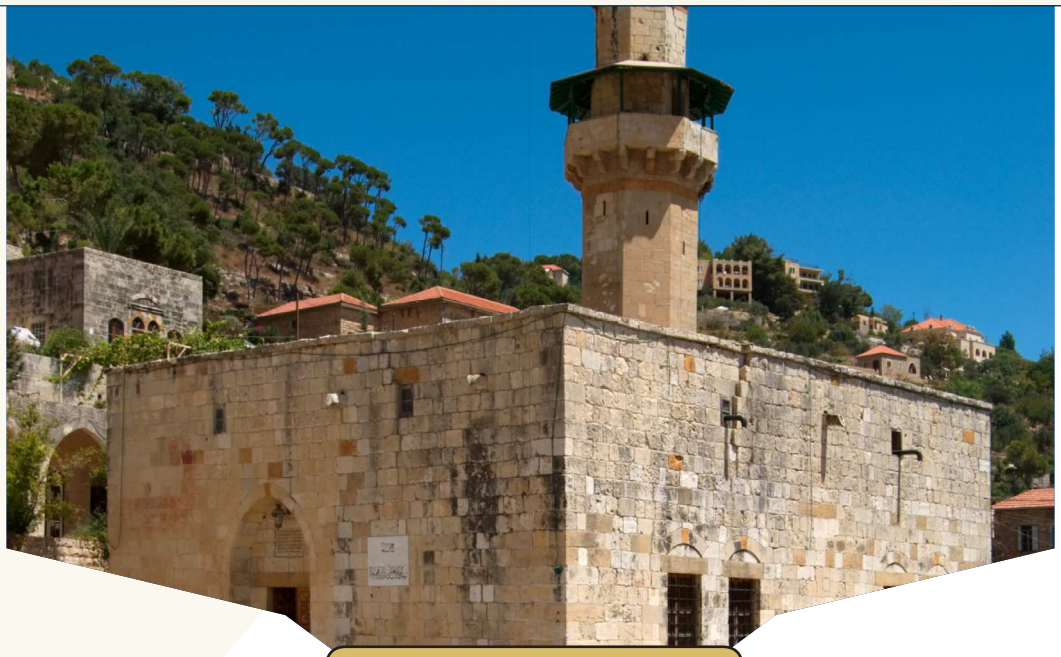

جامع الأمير فخر الدِّين

أقدم مساجد جبل لبنان، تميّز بطريقة بناء العمارات الدينية على النمط المملوكي بالتفاصيل المعمارية والزخرفة، واستخدام الحجارة في البناء والتغطية.

تاريخ بناء الجامع:

تم بناء جامع الأمير فخر الدِّين في عهد المماليك عام ٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م، من قبل الأمير فخر الدِّين الأول بن عثمان بن معن (١٥١٦-١٥٤٤م)، والأمير فخر الدِّين هو سليل العرب من المسلمين من شبه الجزيرة العربية، وكان من الذي هاجروا من الجزيرة إلى العراق ومن ثم حلب، حتى البقاع وبعلبك ومن ثم بعقلين، وعندما كان يتولى الأمارة في حكم السلطان المملوكي الجركسي قاتيباي وقف إلى جانب العثمانيين في معركة دابق عام ١٥١٦م، ليصبح بعد انتصارهم أميراً على الشوف مكافأةً من السلطان سليم الأول على موقفه.

النصوص التاريخية في الجامع:

يضم جامع فخر الدِّين في لبنان نصوصٍ تاريخية، كُتب الأول بخط الثلث على الحائط الجنوبي لقاعدة المئذنة، يضم آيةً من القرآن الكريم مع ذكر اسم باني الجامع، والنص بالشكل الآتي: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾. سورة النور: آية ٣٦ـ٣٧.

وأيضاً عمّر هذا المكان المبارك ابتغاء لوجه الله العظيم، ورجاء لثوابه العميم العبد الفقير إلى عفو ربه القدير المقرّ الفخري الأمير فخر الدِّين

عثمان بن الحاج يونس بن معن غفر الله له. في الخامس من شهر الله المحرم من شهور سنة تسع وتسعين وثمان مائة للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

ونفس الآية في النص الأول ذُكرت في النص الثاني مع الآية التي تليها، ويقع النص الثاني في أعلى باب المدخل الغربي لجامع الأمير فخر الدِّين، ولكنها كُتبت بخط النسخ، والآية الثانية هي: ﴿لِيَجْزِيَهُمْ الله أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ الله يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. سورة النور: آية ٣٨. والنص الثالث هو نصٌ تركي يعود للعهد العثماني كُتب أعلى باب المدخل الشرقي للجامع، ويتألف من سبعة أسطرٍ.

تصميم الجامع والترميمات:

يتكون جامع فخر الدِّين من رواقين بدون صحن، وكان يتميز بطريقة بناء العمارات الدينية على النمط المملوكي بالتفاصيل المعمارية والزخرفة واستخدام الحجارة في البناء والتغطية، فكان مماثلاً لطريقة بناء المساجد والقصور، والزوايا في دمشق وحلب وبيروت والقاهرة وطرابلس الشام.

وقد تعرض جامع فخر الدِّين للعديد من الأضرار خلال الزمان وحصل على عدة عمليات ترميمية، خاصة بعد هجوم أحمد باشا كجك عام ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م على دير القمر بعد خروج الأمير فخر الدِّين الثاني بن الأمير قرقماز منها متجهاً إلى توسكانة، ولذلك قام الأمير أحمد بن ملحم بن معن بإصلاحه وترميمه عام ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م، وذلك مُثبت بنصٍ تاريخي على لوحٍ حجري داخل المسجد.

وبسبب أحداث الجبل عام ١٨٤١م تعرض لكثيرٍ من الأضرار بعد خروج جيش إبراهيم باشا بن محمد علي، ولذلك بقي مهملاً لسنواتٍ لم يتم استخدامه فيها، وهذا ما يوضحه السطر الرابع من النص التركي الذي يقول: (كم بقي في ظلمة السحاب من شهورٍ وسنين، ثم ظهر كالشمس الحمد لرب العالمين).

وقد بقي الجامع على وضعه مستقراً في عهد المتصرفية في جبل لبنان (١٨٦١-١٩١٤)، حتى أُجريت أعمال الترميم في عهد الاستقلال بعد اعتباره من المباني الأثرية عام ١٩٤٥م بإشرافٍ من مديرية الآثار.

آداب الدنيا وكيفية التعامل معها

الحلقة الأولى

حثّ الإسلام على العمل في الدنيا، وأعطاه قيمة كبيرة، وحيث أن الإسلام دين الفطرة، يجمع بين مقاصد الدنيا وبين مقاصد الآخرة، ليدفع الإنسان للعمل والسعي في طلب الدنيا بتحصيل الرزق الحلال والعيش الكريم، وبين السعي للآخرة بفعل الطاعات والاجتهاد في العبادات، قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الجمعة: آية ١٠).

بل قرن سبحانه بين المجاهدين في سبيله والذين يضربون في الأرض، حيث قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة المزمل: آية ٢٠).

فقوله عز وجل: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فيه إشارة إلى مصلحة أخرى مقتضية للتخفيف في أمر قيام الليل، وهو السعي لأجل تحصيل الرزق الحلال، وهو عذر مقبول، كما هو مقبول من المجاهد في سبيل الله بلا فرق.

قيمة العمل في الإسلام:

رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «العبادة سبعون جزءاً، أفضلها طلب الحلال» (الكافي، الشيخ الكليني: ج٥، ص٧٨).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ بات كالًّا من طلب الحلال، بات مغفوراً له» (الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٣٦٤).

وعن خنيس، عن أبيه قال: سأل أبو عبد الله عليه السلام عن رجل وأنا عنده، فقيل له: أصابته الحاجة، قال عليه السلام: «فما يصنع اليوم؟، قيل: في البيت يعبد ربّه، قال عليه السلام: فمن أين قوته؟، قيل: من عند بعض إخوانه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: والله، لَلَّذي يقوته أشدّ عبادةً منه» (الكافي، الشيخ الكليني: ج٥، ص٧٨).

سبب التسمية بـ الدنيا:

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما سُميت الدنيا دنيا لأنها أدنى من كل شيء» (علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج١، ص٣).

والدنيا لغة: لدنوها، والجمع دنى، ودانيت بين الامرين، أي قاربت بينهما. والقرب بالذات أو بالحكم،

وهي مقابل الآخرة.

الدنيا اصطلاحاً: هي كل ما للإنسان فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة قبل الوفاة.

الدنيا في القرآن الكريم:

وردذكر الدنيا في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وأكثرها في ذم الدنيا، فتارة يصفها باللعب واللهو قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.(سورة الحديد: آية٢٠).

وتارة يقول عنها إنّ الانتفاع بها غير باق كقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة آل عمران: آية١٨٥).

وتارة أخرى ينبه الإنسان على عدم الإنبهار بها: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (سورة لقمان: آية٣٣).

وأخرى عدم الانغماس فيها ونسيان الآخرة: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (سورة الروم: آية٧).

كما أنّ المولى تعالى بيّن أن من يأخذ نصيبه في الدنيا يُنقِص ذلك من نصيبه في الآخرة: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (سورة الشورى: آية٢٠).

الدنيا في السنة الشريفة:

أكدت النصوص الشريفة أن الله تعالى خلق الدنيا لأجل الإنسان، وخلق الإنسان لأجل الآخرة، فقد ورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «فإن الدنيا خُلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة» (تنبيه الخواطر: ج١، ص١٣١). وأراد تعالى أن تكون نظرة الإنسان للدنيا على هذا الأساس، أي: أن يتعامل على أنها وسيلة لآخرته، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «بالدنيا تحرز الآخرة» (نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٢١٩)، وعنه عليه السلام: «الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن تزودّ منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله. إكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة» (نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٤٩٣). وعن الإمام الصادق عليه السلام: «نعم العون الدنيا على الآخرة» (الكافي، الشيخ الكليني: ج٥، ص٧٢).

ولا ينبغي للإنسان المؤمن أن يتخذ الدنيا غاية من دون الآخرة، فتصبح دنيا مذمومة وهي التي قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: «الدنيا مزرعة الشر» (عيون الحكم، الواسطي: ص٣٨)، «الدنيا معدن الشر ومحل الغرور» (ميزان الحكمة، الريشهري: ح٢، ص٨٩٥)، «الدنيا سوق الخسران» (عيون الحكم، الواسطي: ص١٨)، «الدنيا مصرع العقول».

إذن ليست الدنيا قبيحة بذاتها وليست جميلة بذاتها بل الإنسان هو الذي يُضفي صفة الجمال والقبح عليها.

لذا فالإنسان العاقل لا يذم الدنيا عندما يغتر بها، فقد ورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «من قال قبح الله الدنيا، قالت الدنيا: قبح الله أعصانا للرب» (بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٤، ص١٧١).

وقد ورد أن أحدهم كان يذم الدنيا وهو يحسبها متجرمة عليه فسمعه أمير المؤمنين عليه السلام فأجابه: «أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها ثم تذمها؟ أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك؟ متى استهوتك أم متى غرتك» (نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٤٩٢).

ونتكلم عن آداب الدنيا في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

قال أمير المؤمنين عليه السلام

(إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ)

نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٥٠٥

إن من المؤكد الطبيعي لدى الجميع -إلا من قل- الخوف من المستقبل والتوجس خيفة مما يقع واتخاذ إجراءات السلامة والاحتياط لأجل الحفظ والحراسة.

وسبب ذلك واضح لأن الجميع يريد البقاء وطول المدة في الحياة فيدفع بجهده كل ما يحول دون ذلك وربما في غمرة هذه الاجراءات الاحتياطية ينسى الإنسان وجود قوة تحفظه ولا يؤثر في ديمومتها وبقائها سلاح -مهما كان متقدما- وإنما يخضع السلاح في تأثيره إليها، وتلك القوة هي قوة الحماية والسلامة التي يهيئها الله تعالى للمخلوقين على اختلافهم وتعددهم وتوزعهم الجغرافي وانتشارهم في الآفاق الكونية، بحيث لا يعجزها حفظ أحد مهما كان حجمه وموقعه ومصدر الخطر عليه وحجم قوة الحفظ والسلامة له؛ لأنه تعالى خالق كل شيء وبيده مقاليد الأمور، فإنه خلق ملائكة حفظه تقوم بهذه الواجبات يمكنها اختراق الحواجز مهما قويت وسلحت، إذ الملائكة أرواح مجردة شفافة لا تحتل مساحة أو حيزاً فمن السهولة جداً رعايتها المكثفة لكل مخلوق حتى يبلغ الكتاب أجله ويأذن تعالى بقبض روح المخلوق فتتركه وقدره كيما تجري إرادة الله تعالى بشكل طبيعي من دون ما معارضة أو محاجزة.

والإمام عليه السلام يدعونا للتنبه إلى هذا الأمر والوثوق بحفظ الله تعالى ورعايته للجميع فلا بد أن لا نخشى سواء لأنه تكفل بحفظنا مضافا إلى انه محيط بكل شيء علما، فإذا توجه نحونا مصدر الخطر دفعه عنا وحال بيننا وبينه بقوته وتدبيره وليس بالضرورة إدراكنا لشكل مصدر الوقاية أو نوعه.

فالوقت المحدد لرحيل المخلوق هو الكفيل ببقائه حتى يحين، فلا بد من التخفف من القلق والخوف وإنما الاجدى اتخاذ الاحتياطات المناسبة مع التوكل على الله تعالى والالتجاء إلى حفظه وحياطته لا الاعتماد على تلك الاحتياطات فإنها مهما كانت فهي محدودة ومتناهية. (انظر أخلاق الإمام علي؛ السيد صادق الخرسان: ج١، ١٢٣).

ومضة من نور:

حقيقة الملائكة وصفاتهم:

وَرَدَ بيان الملائكة وصفاتهم في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، حيث وصف الله عَزَّ وجَلَّ الملائكة بأنهم خَلْقٌ من مخلوقاته جَلَّ جَلالُه، وهم ذو إرادة وعقل وأجنحة وحياة وموت، وهم عبادٌ لله يعبدونه ويعملون بأمره ولا يعصونه، وليست لهم نفس أمّارة بالسوء، وهم على درجات من الفضل فمنهم الروح الأمين، وروح القدس، ومنهم الملكان اللذان يسجّلان عمل الإنسان، ومنهم ملك الموت وأعوانه ومنهم الملائكة الحافظين وغيرهم من الملائكة.

هذا ويختار اللهّ من الملائكة رسلاً لتبليغ الوحي وإنزال المقدّرات في ليلة القدر، ويحشرون يوم القيامة، ويقومون بما يأمرهم اللهّ به ولا يعصونه.

وقَدْ يتمثّل الملائكة أحياناً بصورة إنسان عند أداء واجبهم، ويختار اللهّ منهم رسله لتبليغ رسالة الله جَلَّت قدرته.

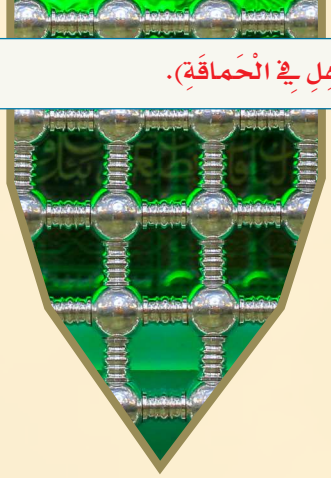

وقد أخبر الله جَلَّ جَلالُه عن بعض صفاتهم وأشار إلى بعض خصوصياتهم في آيات من كتابه الكريم، نذكر منها ما يلي:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (سورة الزخرف: آية١٩).

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (سورة المعارج: آية٤).

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (سورة الرعد: آية١٣).

﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾ (سورة النحل: آية٢).

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل: آية٣٢).

﴿اللّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (سورة الحج: آية٧٥).

أمير المؤمنين عليه السلام يصف الملائكة:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يتحدَّث عن خلق الملائكة: «ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ، وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ، وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ»(نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٤١).

اقسام الملائكة:

قال العلامة المحقق السيد مرتضى العسكري: إنّ الامام أمير المؤمنين عليه السلام جعل الملائكة أربعة أقسام:

الاوّل: أرباب العبادة، ومنهم الراكع، والساجد، والصافّ، والمسبّح، وقوله «صافّون» أي: قائمون صفوفا، وقوله: «لا يتزايلون» أي: لا يتفارقون.

الثاني: الامناء على وحي اللّه لانبيائه، والالسنة الناطقة في أفواه رسله، والمختلفون بالاقضية إلى العباد: بهم يقضي اللّه على من شاء بما شاء.

الثالث: حفظة العباد، كأنهم قوى مودعة في أبدان البشر ونفوسهم، يحفظ اللّه الموصولين بها من المهالك والمعاطب، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالإنسان من السلامة، ومنهم سدنة الجنان، جمع سادن، وهو الخادم، والخادم يحفظ ما عهد إليه وأقيم على خدمته.

الرابع: حملة العرش، ولعلّهم هم المأمورون بتدبير أمر العالم من إنزال المطر وإنبات النبات وأمثالها ممّا يتعلّق بربوبيّة ربّ العالمين لعوالم المخلوقات.

القرب الإلهي

سؤال: إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ الله تعالى منزّه عن المكان، كيف توجّهون لنا الفكرة القائلة أنّ الطاعة تبعث إلى التقرب من الله تعالى؟ وما المقصود من هذا القرب؟

الجواب: أبداً لا يمكن القول إنّ المقصود من القرب هو القرب المكاني، لأنّ الله تعالى ليس بجسم ولا جسماني ومنزّه عن المكان بنحو يقترب منه العبد مكانياً، ولكنّه سبحانه وتعالى في نفس الوقت أقرب إلينا من حبل الوريد، قال الله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(سورة ق: آية١٦).

كذلك لا يمكن أن يكون الهدف من هذا القرب هو القرب المقامي أو الاجتماعي، كما يقال مثلاً، وكيل الوزارة أقرب إلى الوزير من كلّ أحد وأنّه مقرّب لديه. بل أنّ هذا التقرّب نوع «قرب معنوي»، وأنّ إطلاق لفظ «قرب» نوع من المجاز، ولوجود الاشتراك والتشابه بين هذا القرب والقرب المكاني، استعملت لفظة القرب في هذا المعنى.

إنّ التقرّب من الله ليس قرباً مكانياً ولا اجتماعياً ولا مجازياً، بل هو قرب واقعي

وحقيقي يحصل عليه العباد في ظل إطاعة الله وعبادته والإخلاص في العمل، ويرتقون في سلّم التكامل، ويقتربون من الله بحيث تقل الفاصلة بينهم وبين الله سبحانه.

من الممكن أن يطرح السؤال التالي: إذا كان الله تعالى منزّهاً عن المكان وانّ القرب منه ليس قرباً اجتماعياً ولا مكانيّاً، إذاً ما المقصود من «القرب الإلهي» وعروج العبد وقربه منه؟

وجوابنا عن السؤال: هو أنّ إله العالم كمال مطلق وغير محدود، والسائرين في طريق العبودية في ظل الكمالات التي يكسبونها من هذا الطريق يحصلون على كمالات غير متوفّرة لدى غيرهم، ولذا يقتربون من الله تعالى.

ففي عالم الخلق كلّ إنسان يقترب من الله بنسبة كماله، ولكن كلّما اشتدّ كمال الإنسان ازداد قربه من الذات الإلهية التي هي الكمال المطلق واللامحدود.

ومن المسلّم أنّ الملائكة وفي ظل الكمال الذي يملكونه أقرب إلى الله تعالى من كثير من الموجودات، ومن هذه الجهة بعضهم «حاكم ومطاع»، وبعضهم الآخر «مطيع» و«مأمور».

ثمّ إنّ مرتبة الإنسان من الناحية الوجودية أعلى من الجمادات والنباتات والحيوانات وأقرب إلى الله تعالى، والمعيار في القرب والبعد، هو ذلك الكمال الوجودي الذي يقرّبه من مركز الكمال المطلق.

وإضافة إلى الكمالات المتوفرة لدى الإنسان -بحكم الضرورة- يستطيع الإنسان من خلال سلوك طريق العبودية وإقامة الفرائض الدينية أن يحصل على الكثير من تلك الكمالات، فالإنسان من خلال طي هذا الطريق يرتقي في درجات السمو والرفعة والتكامل ويقترب من الله ويسمو عن المرتبة الحيوانية، بل يرتقي إلى درجة فوق درجة الملائكة. (منشور جاويد: ج٥، ص١٦٩).

(كتاب الفكر الخالد في بيان العقائد، الشيخ السبحاني: ج١، ص٢٥ بتصرف).

المنتظر الحقيقي

(الحلقة الأولى)

الشيخ محمد العبيدان

تختلف طبيعة الحديث عن صاحب الناحية المقدسة المولى الإمام الحجة المنتظر المهدي (روحي له الفداء)، حسب اختلاف الموضوع والمخاطب، فليس الحديث عن إثبات وجوده الشريف وولادته المباركة، وإمكانية رؤيته، كالحديث عن انتظاره، وصفات المنتظرين له، ومسؤولياتهم، فإن المفترض فراغ أصحاب النوع الثاني من الموضوعات عن مسألة إثبات الوجود وتحقق الولادة، وغير ذلك، وهو يرتقب الظهور المقدس، كمن أتعبه ظلام الليل الدامس، فصار يرتقب طلوع الصبح، وينتظر إشراقة الشمس.

وهذا يستدعي أن يكون الحديث عاطفياً تعبوياً، لأنه يتضمن الحديث حول معرفة الإمام عجل الله فرجه الشريف، ومحبته وعشقه ومقاماته.

وليس المقصود من محبته (بأبي هو وأمي)، الاعتقاد بوجوب ذلك، لأن ذلك من الضروريات بمقتضى النص القرآني، قال تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (سورة الشورى: آية٢٣)، بل المقصود منها شيء آخر.

وليس المقصود من محبته (روحي له الفداء)، مجرد التلفظ اللساني، فإن ذلك أمر سهل لكل أحد.

بل المقصود من محبته عجل الله فرجه الشريف، هو جوهر الحب ولبه وأصل العشق ومعدنه، ومنبت الوله، ومركزه، إنه حب زليخة ليوسف عليه السلام، بل هو أشد من ذلك وأعظم.

فالمنتظر الحقيقي يحتاج أن يستشعر حضور الإمام عليه السلام ويستنشق نسيم عبيره الفواح والشوق، بل الهيام إلى لقياه، فلا يقر له قرار، ولا يهنأ له عيش، ولا يهدأ له بال حتى تكتحل نواظره بطلعته الرشيدة وغرته الحميدة.

حقيقة الحب:

ومعنى أن يكون المنتظر الحقيقي محباً لصاحب الناحية المقدسة عجل الله فرجه الشريف، أن يحترق قلبه حتى يذوب في هواه، فليس الحب مجرد كلمات منمقة وعبارات مزينة وأحرف مكتوبة، بل هو وجدان وأحاسيس ونبض، كما جسد ذلك أصحاب أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء العشق والمحبة.

فالحب لا تسعه الكلمات، ولا تحيط به الحروف، ولا تستوعبه العبارات، لأنه إحساس وشعور واحتراق وذبول وسهر الليل وفكر في النهار، وشخوص البصر، بانتظار رؤية الحبيب، وذهاب الفكر سعياً لرضاه، وخوض المخاطر في سبيل لقياه.

إن الحب هو حزن القلب وابتسامة الثغر، هو أنين الكتوم وصرخة الموتور، الحب هو تتبع حركات المحبوب وسكناته، والأنس بألم الفراق على أمل اللقاء.

ويمكن تلمس هذا المعنى واضحاً في زيارة آل ياسين التي تضمنت بعث السلام إلى الحبيب في كل حركاته وسكناته: «السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقُومُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِيْنَ تَقْعُدُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْرَأُ وَتُبَيِّنُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصَلِّي وَتَقْنُتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَحْمَدُ وَتَسْتَغْفِرُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصْبِحُ وَتُمْسِي، السَّلامُ عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ إِذا يَغْشى وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّى» (الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٣١٦).

المنتظر الحقيقي:

حتى يتسنى للإنسان أن يصل إلى المحبوب، ليكون منتظراً حقيقياً، يلزمه أن يملك صفات تعينه على الوصول إلى الحب الحقيقي والعشق المطلوب:

١- معرفة الحبيب:

وهذا ما يستفاد من النصوص الشريفة، فإنها لم تؤكد على العلم بالحبيب، وإنما أكدت على معرفته، وقد ربطت بين المعرفة والعمل، ولم تربط بين العلم والعمل، وهذا يوحي بوجود فارق بين العلم والمعرفة، مع أن المعرفة فرع العلم وأخص منه.

فالعلم هو عبارة عن انطباع صورة الشيء في الذهن، ولا يلزم من حصوله وجود باعث للحركة والعمل، بخلاف المعرفة والتي فيها جنبة شهودية وكاشفية لتولدها من القلب.

معرفة ولي النعمة: ويمكن معرفة المولى ولي النعمة عليه السلام، من خلال أمرين:

الأول: معرفة مقاماته (بأبي هو وأمي).

الثاني: معرفة حقوقه على الخلق.

ومن الواضح جداً ترتب الأمر الثاني على الأمر الأول، بحيث كلما ازداد الإنسان معرفة بمقامات الصاحب عليه السلام ازدادت حقوقه عليه وكثرت مسؤولياته تجاهه.

ولا بأس بالوقوف إجمالاً عند معرفة مقامات صاحب الأمر وحقوقه على الخلق في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

مناسبات شهر صفر

وفاة سلمان الفارسي رضي الله عنه:

في الثامن من شهر صفر سنة (٣٦هـ) توفي سلمان الفارسي، وكان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وخواص أمير المؤمنين عليه السلام، توفي في المدائن وكان والياً عليها من قبل عمر، وقام إلى أن ولي الأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكان عمره ٢٥٠ سنة، وقيل ٣٥٠سنة، وهو من السابقين في الإسلام زماناً ورتبةً، وله فضائل كثيرة تدل على علو مقامه وعظمة شأنه.

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي حضر غسل سلمان وتكفينه والصلاة عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة وسلمان في المدائن، وهذه من معاجز أمير المؤمنين عليه السلام.

مقتل عمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت رضي الله عنهما:

في التاسع من صفر سنة (٣٧هـ)، قتل من أصحاب أمير المؤمنين في صفين عمار بن ياسر الذي قال له النبي صلى الله عليه وآله: (ستقتلك الفئة الباغية) وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين.

وكان الذي قتل عماراً أبو غادية المزني طعنه بالرمح، فسقط، فقاتل حتى قتل، وكان يومئذ يقاتل وهو ابن أربع وتسعين، فلما وقع كب عليه رجل آخر، فاجتز رأسه.

فلما قتل عمار قال خزيمة: قد حانت لي الصلاة ثم اقترب فقاتل حتى قتل.

ولما قتل عمار حزن عليه أمير المؤمنين عليه السلام حزناً شديداً وبكى عليه، فروي أن أمير المؤمنين طاف في القتلى، فوجد عماراً ملقى بينهم، فجعل رأسه على فخذه ثم بكى عليه السلام.

شهد خزيمة بن ثابت الأنصاري الجمل وهو لا يسل سيفا وصفين وقال: لا أصلي أبدا خلف إمام حتى يقتل عمار فانظر من يقتله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية.

تحكيم الحكمين في صفين:

في الثاني عشر من شهر صفر وقيل في الثالث عشر منه سنة ٣٨هـ، حدث تحكيم الحكمين في صفين بعدما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن، فقال علي عليه السلام: (عباد الله، إني أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال، إنها كلمة حق يراد بها باطل).

بعد ذلك رضي أهل الشام بعمرو بن العاص، وأهل العراق بأبي موسى، ورضوا بالتحكيم، فاجتمع أبو موسى وعمرو بن العاص بدومة الجندل، فقال له عمرو: أخبرني ما رأيك يا أبا موسى؟ قال: أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجعلها شورى بين المسلمين يختارون من شاءوا، فقال عمرو: الرأي والله ما رأيت، فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون، فتقدم أبو موسى، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، اجتمع رأيي ورأي صاحبي على خلع علي ومعاوية، وأن يستقبل هذا الأمر، فيكون شورى بين المسلمين يولون أمورهم من أحبوه، وإني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أموركم، وولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً، ثم تنحى.

فقام عمرو بن العاص فقال: إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية في الخلافة.

فقال له أبو موسى: مالك لا وفقك الله قد غدرت وفجرت، إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

فقال له عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقنت على أبي موسى وغيره، ويدعو عليهم باللعنة.

شهادة محمد بن أبي بكر رضي الله عنه:

في الرابع عشر من شهر صفر سنة (٣٨هـ)، شهادة محمد بن أبي بكر بأمر من معاوية وعمرو بن العاص، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد ولاه مصر وكتب له عهداً بذلك.

فبعث معاوية عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام ومعه معاوية بن خديج إلى مصر لقتال محمد بن أبي بكر، فاقتتلوا وانهزم أصحاب محمد، فقتل ثم أحرق في جوف حمار ميت، وحزن أمير المؤمنين عليه السلام على محمد بن أبي بكر حتى رؤي ذلك فيه، وتبين في وجهه، وقام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (ألا وإن مصر قد افتتحها الفجرة أولياء الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجاً، ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه، وعند الله نحتسبه، أما والله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء...).

وقيل لعلي عليه السلام: لقد جزعت على محمد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين، فقال: (وما يمنعني! إنه كان لي ربيباً، وكان لبني أخاً، وكنت له والداً، أعدّه ولداً).

شهادة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله:

في الثامن والعشرون من شهر صفر سنة ١١ للهجرة توفي أشرف المخلوقات وسيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله. وكان عمره الشريف ٦٣ عاماً.

وطبقاً لروايات فإنه صلى الله عليه وآله مات مسموماً، وهو أنه صلى الله عليه وآله أوتي بشاة مسمومة أهدتها له أمرأة من يهود خيبر

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (أتدرون مات النبي أو قتل، إن الله يقول: (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)، ثم قال: إنهما سقتاه قبل الموت – يعني الامرأتين –.

ودعا صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه، فقال: (ادعوا لي خليلي)، فأرسلتا إلى أبويهما، فلما نظر إليهما رسول الله صلى الله عليه وآله أعرض عنهما، ثم قال: (ادعوا لي خليلي)، فارسل إلى علي، فلما نظر إليه أكب عليه يحدثه، فلما خرج لقياه فقالا له: ما حدثك خليلك؟

فقال: (حدثني ألف باب يفتح كل باب ألف باب).

وروي عن ابن عباس قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه يوم الخميس، فقال: (أئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تظلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وآله قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه).

وفي رواية أخرى أن عمر قال: إن النبي غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط.

قال السيد شرف الدين رحمه الله: رواه أحمد بن حنبل وسائر أصحاب السنن والأخبار، وقد تصرفوا فيه فنقلوه بالمعنى، لأن لفظه الثابت: (إن النبي يهجر)، لكنهم ذكروا أنه قال: (إن النبي قد غلبه الوجع) تهذيباً للعبارة، واتقاء فضاعتها.

ثم قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وتولى أمير المؤمنين عليه السلام غسله وتحنيطه وتكفينه، فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم وصلى عليه وحده لم يشرك معه أحد في الصلاة عليه.

كنانة ابن عتيق التَغْلبي

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ...﴾. (سورة البقرة: آية ٢٠٧). وقال تعالى: ﴿...فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾. (سورة الأحزاب: آية ٢٣). وقال الإمام الحسين عليه السلام: «من كان باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصبحا إن شاء الله». (مثير الأحزان ابن نما الحلي: ص٣٠).

كنانة من اصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذي استشهد في الحملة الأولى، وضحى بنفسه في سبيل معتقده، وقدم روحه فداء لإمامه، رغم علمه أن القوم يطلبونه هو وحده، ولو إنهم ظفروا به ما أبهوا بغيره. ونحن هنا نحاول تجميع سيرته المتناثر هنا وهناك، وتاريخه المخفي بين صفحات التأريخ، ولو إن هذه السيرة زهيدة لا تشفي الشغف.

ولا يخفى أن هذه النماذج البشرية التي أصبحت شوكة في عيون الجائرين

والمعتدين على حقوق المساكين، أوجدت نهجاً تحرّرياً مشبعاً بروح التقوى والإخلاص، ظل على مدى التاريخ سبباً في سلب النوم من عيون الجبابرة والمتكبرين، يقض مضاجعهم على الدوام، وأظهرت هذه النماذج هوية إنسانية جديدة، قدمها الإمام الحسين عليه السلام درساً في الحريّة والمروءة حتّى لغير المسلمين.

وبين أيدينا جوهرة التحقت بركب شهداء الإصلاح الحسيني، واستشهد ضمن الذين استشهدوا في يوم عاشوراء، وهو من جملة الأصحاب الغَيارى الذين دافعوا عن الحقّ، وُلبّوا نداءَ إمامهم سيّد شباب أهل الجنة، أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

اسمه ونسبه:

كنانة بن عتيق بن معاوية بن الصّامت بن قيس التَغْلِبي الكوفي.

ولادته:

لم نعثر على تاريخ ولادته.

أخباره:

ـ كان كنانة بطلاً من أبطال الكوفة، وعابداً من عبادها، وقارئاً من قرائها، جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام في الطف، وقتل بين يديه. (إبصار العين للسماوي: ص١٩٩).

ـ ذكر بعض علماء العامة: أنَّه ممن شهدوا معركة بدر هو وأبوه عتيق فارس رسول الله صلى الله عليه وآله. (تنقيح المقال للمامقاني: ج٢، ص٤٢).

إلتحاقه بالإمام الحسين عليه السلام:

ذكر المؤرخون: أنَّ كنانة بن عتيق التغلبي جاء إلى الطف أيام الهدنة وبقي ملازماً للإمام الحسين عليه السلام حتى يوم العاشر وقاتل بين يديه. (وسيلة الدّارين للزّنجاني: ص١٨٥).

زيارته:

ورد السلام عليه في زيارة سيد الشهداء عليه السلام في أول يوم من رجب وليلته، والنصف من شعبان، فقد ورد: «السَّلَامُ عَلَى كِنَانَةَ بْنِ عَتِيقٍ...». (المزار للشهيد الأول: ص١٥٣). وفي زيارة الناحية المقدسة بقول الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: «السَّلَامُ عَلَى كِنَانَةَ بْنِ عَتِيقٍ...». (المزار الكبير الشيخ محمد بن جعفر المشهدي: ص٤٩٤).

استشهاده:

قُتل في الحملة الأولى. وقال غيره: قُتل مبارزة في ما بين الحملة الأولى والظهر.

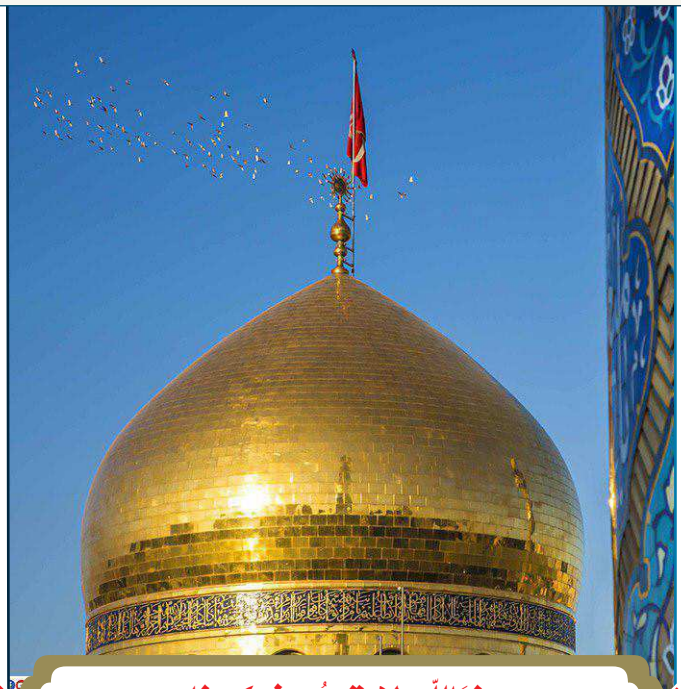

فوَاللّه لا تمحُو ذِكرنا

لقد أراد القاتل يزيد أن يمحو ذكر أهل البيت عليهم السلام، لا بصفتهم الشّخصيّة فحسب، وإنّما بما يمثّلونه من صورة الإسلام النّاصعة، ومن نهج إسلاميّ هو امتداد لنهج رسول الله صلى الله عليه وآله، وطَمِعَ في أن يعود بالقوم إلى عصر الجاهليّة الجهلاء، حيث حكم العشائر والقبائل، وحيث الانتقام من الإسلام الّذي قضى على أشياخه الكافرين.

ولكنّ السيدة زينب عليها السلام جاءت بكلمتها لتنغّص عليه حلمه الموبوء، معلنة أنَّ مشروعه لن يعرف إلا الهزيمة، وأنَّ ما حدَّده من هدف محو ذكرهم، والقضاء على خطّهم، لن يكون مصيره إلّا الوأد في المهد.

وإذا نظرنا إلى كل مراحل التّاريخ، وحتى أكثرها ظلاميّة وقمعاً للرأي الآخر، نرى أنّ ما قالته زينب عليها السلام مثّل الحقيقة الناصعة، فذكر أهل البيت عليهم السلام لم يتوقف، بل كان عدد المؤمنين بنهجهم يزداد يوماً بعد يوم، وهي كانت مدركة تمام الإدراك، أنّ النصر في هذه المعركة لن يكون ليزيد، ولا لنهجه الاستكباري، ولا لأمثاله من الظالمين الطغاة، على الرغم من نشوة النصر الزائفة التي عاشها لوقت قليل، وكانت ترى بعين البصيرة واليقين، أنّ النصر سيكتب لمسيرة خطوها بدمائهم وتضحياتهم، وأنّ الدم الزاكي الذي سال على أرض كربلاء، سيكون شعلة تضيء درب كل الأحرار في كل زمان ومكان، والبوصلة التي ترشد كل

من يريد السّير في طريق الحق، وسيكون معين الثّوار ضد كل طاغية ومستكبر.

ها هي ثورة الإمام الحسين عليه السلام اليوم تفرض نفسها على العالم كلّه، ترفع شعارات الحقّ والعدل ضدّ الظّلم والباطل، وتنتج في كلّ يوم أبطالاً يتّخذون من الإمام الحسين وأصحابه قدوةً في مقارعة الاستكبار وأهله، والملايين من المسلمين، من محبّي أهل البيت عليهم السلام في كلّ أقطار العالم، يلهجون بذكرهم، ويسيرون على دربهم.

قالتها زينب عليها السلام، وزينب هي تلك الثّائرة المسلمة المؤمنة البطلة القويّة، التي اتّخذت خياراً، وكانت على قدر المسؤوليّة، لم تهن ولم تضعف وهي تسير في طريق ذات الشّوكة. فلتكن هذه صورتها دائماً، ولا نسيئنّ إليها بأيّ صورة أخرى تبرزها في موقف الضّعف والوهن، إذ لا يمكن لمن وقفت أمام طاغية عصرها تهدر بكلمات التحدّي، أن يعرف الضّعف طريقاً إليها.

وللقارئ الكريم ان يطلع ويقرأ كم أُلفت كتب وكُتبت مقالات وعُقدت ندوات و... حول ما قالته زينب عليها السلام، وما بشرت به من نصر، كما بشر به الإمام الحسين عليه السلام، فعن حمزة بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال ذكرنا خروج الحسين وتخلف ابن الحنفية عنه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « يا حمزة اني سأحدثك في هذا الحديث ولا تسئل عنه بعد مجلسنا هذا إنّ الحسين لما فصل متوجهاً دعا بقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم أمّا بعد فإنه من الحقَّ بي منكم أُستشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام». (بصائر الدرجات محمد بن حسن الصفار: ص٥٠٢).

أنّ زينب عليها السلام بشرت مرتين؛ الأُولى في مجلس إبن الطُّلقاء يزيد عندما تحدته في خطبتها العلويّة بقولها «فوَالله لا تمحُو ذِكرنا»(مثير الأحزان ابن نما الحلي: ص٨١). والقسم دليل الثّقة المُطلقة حدّ اليقين بالله تعالى وبالنّفس وبالرسالة وبالقضيّة.

كذلك قولُها عليها السلام للإمام السجاد عليه السلام: «فوَالله إنَّ ذلكَ لعهدٍ من رسولِ الله صلى الله عليه وآله إلى جدِّكَ وأَبيكَ وعمِّكَ، ولقد أَخذَ الله ميثاقَ أُناسٍ من هذهِ الأُمَّة لا تعرفهُم فراعنةُ هذهِ الأَرض، وهُم معروفُونَ في أَهلِ السَّماواتِ أَنَّهم يجمعُونَ هذهِ الأَعضاء المُتفرِّقة فيوارونَها، وهذهِ الجسُوم المُضرَّجة، وينصبُون لهذا الطفِّ علماً لقبرِ أَبيكَ سيِّد الشُّهداء عليه السلام لا يُدرَسُ أَثرهُ، ولا يعفُو رسمهُ، على كرورِ اللَّيالي والأَيَّام وليجتهِدنَّ أَئِمَّةَ الكُفرِ وأَشياع الضَّلالة في مَحْوِهِ وتطميسهِ، فلا يزدادُ أَثرهُ إِلَّا ظهُوراً، وأَمرهُ إِلَّا عُلُوّاً». (بحار الانوار العلامة المجلسي: ج٢٨، ص٥٧).

موسى في مواجهة فرعون:

ما زال الكلام في قصة نبي الله موسى عليه السلام... أنتهت المرحلة الأُولى لمأمورية موسى عليه السلام وهي موضوع الوحي (والرسالة)، وطلبه أسباب الوصول إلى هذا الهدف الكبير.

وتعقيباً على المرحلة الآنفة تأتي المرحلة الثّاني؛ أيّ: مواجهة موسى وهارون لفرعون، والكلام المصيري الذي جرى بينهم.

يقول القرآن الكريم مقدمةً لهذه المرحلة: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(سورة الشعراء: آية١٦). وضمن دعوتكما لفرعون بأنّكما رسولا ربّ العالمين اطلبا منه أن يُرسل بني إسرائيل ويرفع يده عنهم: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (سورة الشعراء:آية١٧).

وبديهي أن المراد من الآية أن يرفع فرعون عن بني إسرائيل العبوديّة والقهر والإستعباد، ليتحرروا ويأتوا مع موسى وهارون، وليس المراد هو إرسال بني إسرائيل معهما فحسب.

وصل موسى عليه السلام إلى مصر، وأخبر أخاه هارون بما حُمِّلَ، وأبلغه الرسالة الملقاة عليهما. فذهبا معاً إلى فرعون ليبلغاه رسالة الله، وبعد عناء شديد استطاعا أن يصلا إلى فرعون وقد حف به مَنْ في القصر من جماعته وخاصته، فأبلغاه الدعوة إلى الله ووحدانيّته.

وهنا يلتفت فرعون فيتكلم بكلمات مدروسة وممزوجة بالخبث والشيطنه لينفي الرسالة ويقول لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً...﴾ إذْ التقطناك من أمواج النيل الهادرة فأنقذناك من الهلاك،

وهيّأنا لك مرضعة، وعفونا عن الحكم الصادر في قتل أبناء بني إسرائيل الذي كنت مشمولاً به، فتربّيت في محيط هادىء آمن منعّماً، وبعد أن تربيت في بيتنا عشت زماناً ﴿...وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾. (سورة الشعراء: آية١٨).

ثمّ توجه موسى وذكرّه بموضوع قتل القبطي فقال: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ...﴾.

إشارةً إلى أنه كيف يمكنك أن تكون نبيّاً ولديك مثل هذه السابقة؟!

ثمّ بعد هذا كله: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. (سورة الشعراء: آية١٩)؛ (أيّ بنعمة فرعون) فلطالما جلست على مائدتنا وتناولت من زادنا فكيف تكون نبيّاً وأنت كافر بنعمتي؟!

وفي الحقيقة؛ كان فرعون يريد أن يجعل موسى محكوم بهذه التهم الموجهة إليه، وبهذا المنطق الإستدراجي.

(أو أنه أساساً لم يجد الإشكال الأوّل يستحق الإجابة؛ لأن تربية الشخص لا تكون دليلاً على عدم جواز هداية مربّيه إن كان المربي ضالاً، ليسلك سبيل الرشاد).

وعلى كل حال أجابه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾(سورة الشعراء: آية٢٠)؛ أيّ: إن موسى كانت ضربته للرجل القبطي لا بقصد القتل، بل لكي يحمي المظلوم ويدافع عنه، ولم يدر أنّه ستؤول ضربته إلى الإجهاز عليه وقتله، ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(سورة الشعراء: آية٢١).

ثمّ يردّ موسى عليه السلام على كلام فرعون الذي يمنُّ به عليه في أنّه ربّاه وتعهده منذ طفولته وصباهُ، معترضاً عليه بلحن قاطع فيقول: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(سورة الشعراء:آية٢٢).

صحيح أنّ يد الحوادث ساقتني ـ وأنا طفل رضيع ـ إلى قصرك، لأتربّى في كنَفُكَ، وكان في ذلك بيان لقدرة الله، لكن ترى كيف جئت إليك؟ ولم لا تربيتُ في أحضان والديّ وفي بيتهما؟!

ألم يكن ذلك لأنّك عبّدت بني إسرائيل وصفّدت أيديهم بنير الأسر حتى أمرت أن يُقتل الأطفال الذكور وتستحيا النساء للخدمة؟!

فهذا الظلم المفرط من قبلك، كان سبباً لأن تضعني أُمي في الصندوق حفاظاً عليّ، وتلقيني في أمواج النيل، وكانت مشيئة الله أن تسوق الأمواج (زورقي) الصغير حتى توصله إلى قصرك، أجل إن ظلمك الفاحش هو الذي جعلني رهين منّتك وحرمني من بييت أبي الكريم، وصيَّرني في قصرك الملوّث.

الراعي والذئب

يُحكى أنّه كان هناك طفل يعيش في قرية صغيرة ويعمل في رعي الأغنام، وفي يوم من الأيام أصابه الملل من مشاهدة أغنام القرية تحدّق في الأفق بلا جدوى، فقرّر تسلية نفسه، وصاح فجأة: "ذئب! ذئب! هنالك ذئبٌ يطارد الأغنام!" بمجرّد أن سمع القرويون صياح الفتى حتى سارعوا إلى التلّة بعصيّهم وبنادقهم لإخافة الذئب، لكنهم لم يعثروا على شيء، فيما كان الولد مستمتعاً برؤية ملامحهم الغاضبة. واكتشف القرويون حيلة الولد فصاحوا فيه بغضب: "لا تصرخ محذّراً من الذئاب إن لم يكن هناك ذئبٌ حقاً!" ومضوا بعدها عائدين إلى أعمالهم.

بعد بعض الوقت، عاود الراعي الكرّة وصاح مجدّداً: "ذئب! ذئب يلاحق خرافي!" ومجدّداً سارع سكّان القرية بأسلحتهم لإنقاذ الخراف، لكنّهم في هذه المرّة أيضاً لم يعثروا على أيّ ذئب، وقاموا بتوبيخ الراعي مجدّداً على مزاحه الثقيل، بينما كان هو يضحك مستمتعاً. بعد ساعات عدّة، رأى الراعي ذئباً حقيقياً يقترب من أغنامه، فانتابه الخوف وراح يصيح: "ذئب! ذئب يهاجم خرافي!" لكنّ أحداً لم يردّ عليه ولم يأتِ لمساعدته، فقد اعتقد القرويون أنه يكذب مجدّداً، وتجاهلوه تماماً.

فلما غربت الشمس، ولاحظ سكان القرية غياب الراعي وأغنامه، فصعدوا إلى التلّة ليتفقّدوا أمره، ووجدوه هناك يبكي وينتحب، فسأله أحدهم "ما الأمر؟ ماذا أصابك؟". فقال "لقد هاجم الذئب قطيع الأغنام، وقضى عليها، طلبتُ عونكم لكنّ أحداً منكم لم يأتِ لمساعدتي!" حينها اقترب منه حكيم القرية وهمس في أذنه قائلاً: "حينما يعتاد الناس منك على الكذب، لن يصدّقوك حتى لو قلت الحقيقة!"

العبرة المستفادة:

العبرة من هذه القصة القصيرة واضحة وضوح الشمس، لن يصدّق أحدٌ الكاذب حتى لو قال الحقيقة، وهذا ما يحصل اليوم في زماننا للأسف الشديد، فقد اعتاد أغلب الناس –الصغير منهم والكبير، الفقير منهم والغني، الجاهل منهم والمتعلم، السياسي المسؤول منهم وغير المسؤول "إلا ما ندر"– على الكذب والخديعة والمكر حتى في الأمور الإنسانية المتعلقة بحياة الناس، والمفصلية المتعلقة بمستقبل الأمة، فشاع الكذب وصار هو الطابع السائد، فكل من يتكلم يحمل كلامه على الكذب، وإن كان صادقاً فعلاً.

فضاع الراعي والرعية، حيث انحدرت أخلاق المجتمع وفقد انسانيته ونبله، وانعدمت الثقة والمروة، ورفعت الرحمة والإنسانية، فلا بركة، ولا غيرة، ولا حمية، حتى سلبت منا كل مقومات الأمة الخيرة، حيث كنا كما قال الله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾(سورة آل عمران: آية ١١٠).

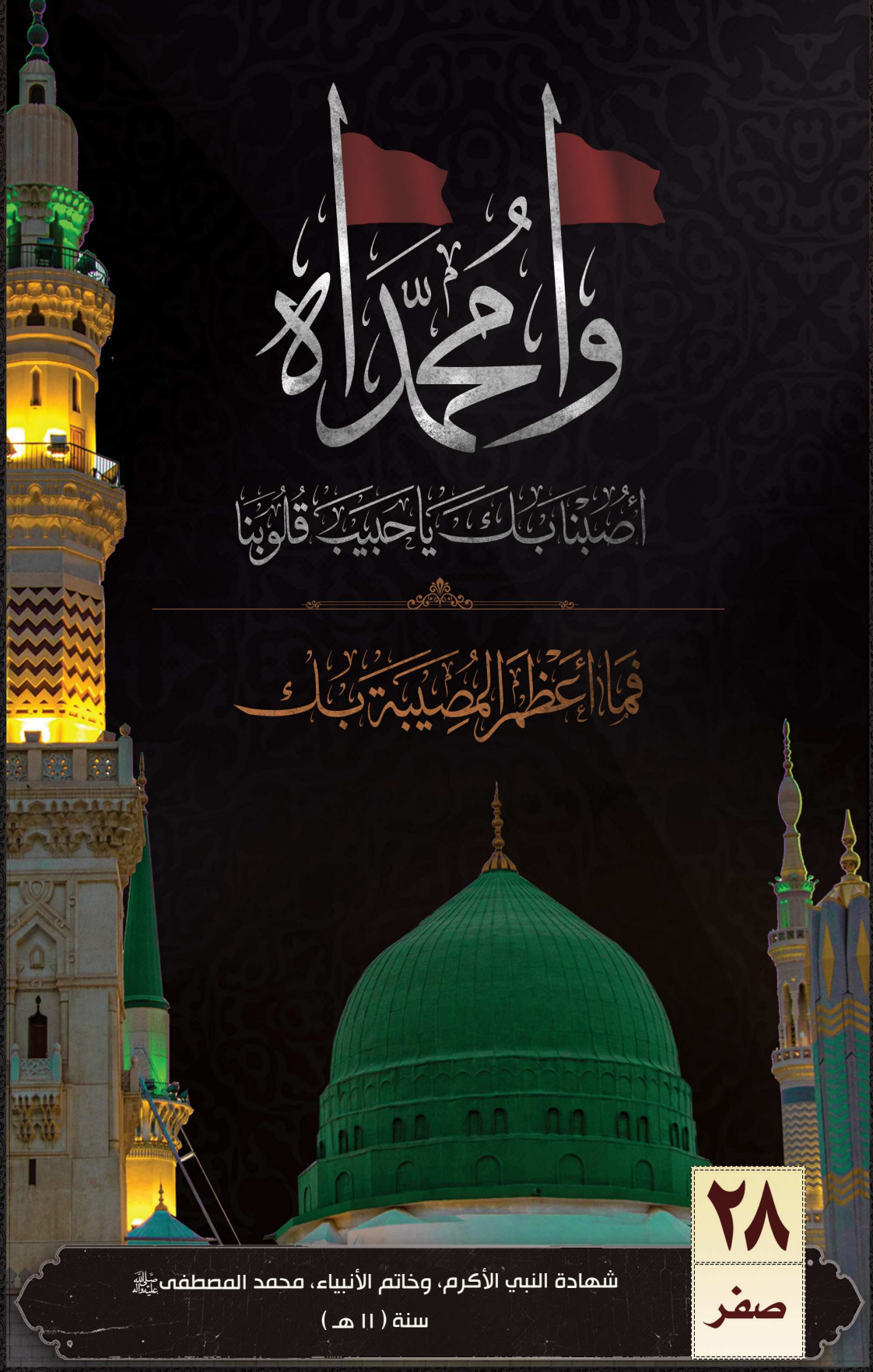

٢٨
صفر

شهادة النبي الأكرم، وخاتم الأنبياء، محمد المصطفى صلى الله عليه وآله

سنة (١١ هـ)

أربعين الإمام الحسين عليه السلام

٢٠
صفر

ورود السبايا من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله أرض كربلاء

سنة ٦١ هـ